قصة
إختفاء القمر
معمر إيمان

حين يكون لدينا شعور بقيمة الأشياء من حولنا تكون سعادتنا نابعة عن أبسط الأمور، كرائحة الخبز الشهية في الصباح الباكر القادمة من محل مررت به، تشعر بلذة دون الحاجة للتذوق. لكن لسبب ما هناك تغييرا يحدث لتلك السعادة، ربما طفيف لا تشعر بوجوده وأنت غارق في استكشافه، وكأن القلب لم يكتف من ظمأه طالبا المزيد، هي غيبوبة ربما أصابته، فبسببها لم يتوقف لينظر ويتأمل في المحيط الذي بني وشيد حوله على حين غفلة منه. لكن بمجرد اختفاء ذلك الشيء الجميل يصحو من سكرته غير قادر على التوازن، فيقع في عمق آخر أكثر سوادا. فخ؟ ربما. لكنه جعل العقل يتأرجح سعيدا من لذته و يدمنه حد الجنون.

تحت القمر...
في غرفتي التي صارت كالمأتم بالنسبة لي. أحتضن قدمي ككل ليلة بعد رحيله، لا زلت على ذكرياتي الجميلة إلى جانبه وبه، كيف أنني أحببت الحياة أكثر. الأشياء من حولي على الرغم من بساطتها كانت وستكون ذات قيمة بالنسبة لي، لكنني مع ذلك أحببتها ودفء جسدك إلى جانبي تستكشف معي ما أهتم به. لا أعلم لم فقدت معناها بعد رحيلك، لا أدري السبب في ذلك؟ لما كل ما حولنا وما نستمتع به في خلوتنا يفقد معناه بمجرد دخول شخص يكون له مكانة في قلوبنا ونشاركه إياه! ليس من المنصف هذا! كان من الأفضل لو أن تلك القيمة تبقى حتى نجد ما نعيش عليه، ولن نضطر إلى إتمام الحياة بعيون لا حياة فيها..

القمر..

لست أقوى إلى هذا اليوم أن أنظر إليه. أتعلم؟ إنه يذكرني بك، لا تلمني فلطالما رأيته كاملا.
هل كان الأمر يستحق كل هذا الجفاء؟ هل يمكنك مسامحتي؟ لست راغبة في ذلك بقدر رغبتي في العودة، لكن يقيني يخبرني أن لا شيء سيعود كما كان.
نصحني شخص أثق به قائلا أنني يجب أن أتخلص من كل ما يتعلق بك، وبالطبع فعلت، لا أخفيك أن ذلك كان على مضض، انهرت بعدها ولزمني مهدئ حتى أتقبل الأمر، كان يجب علي أن أتخلص من عادة جمع الأشياء التي تكون في نظري ثمينة، فبسبب ذلك انهرت أثناء رميها.
أعود وأتذكر القمر، هل سبب عدم قدرتي على النظر إليه أن نوره يعكس اللون الأبيض للفستان الذي اخترته لذلك اليوم؟ أم لصفاء قلبك الذي جعلتني أغرق فيه على شساعة اتساعه.
أم أنه يذكرني بالخاتم الماسي الذي زين إصبعي بعد خطوبتنا؟ ذلك الخاتم الرائع، لقد تخلصت منه كذلك بطريقتي الخاصة.
قارورة بنية على الطاولة المقابلة لي، فقدان أعصاب وغضب يجعل جسدي لا يقوى على الثبات بها علاجه، على شكل أقراص دائرية صغيرة تعطيني ثباتا نسبيا، مع الوقت صارت رفيقي في سلوك درب الزمن نحو النسيان.
اعتدلت في جلستي أنظر إليها، ونهضت مقتربة منها.
أمسكتها. كان غطائها الصعب مفتوح قليلا ليسهل علي إزالته، ففي حالة الارتجاف تلك خصوصا بالليل لا يمكنني سوى إنجاد نفسي.
وضعتها مجددا على الطاولة وبراحة يدي أحكمت إغلاقه. لا أظنني بحاجة إليه بعد الآن.
ثم بخطواتي البطيئة كأيامي السابقة اتجهت إلى النافذة وفتحتها لأمتع نظري بجمال القمر.

أغمضت عيني واستنشقت الهواء العليل كطفل صغير يبعث للحياة أول مرة. من المستحيل في قاموسه أن يعود، خصوصا بعد الخذلان الذي سببته له من اتهامي له بأنه يخنقني باهتمامه الزائد، لدرجة أنه صار ينفعل من أتفه سبب أخطأ به! لكن لم أكن يوما أعتقد أن ما طلبت أن يقل يختفي للأبد من أمامي دون وداع حتى.

لكنه عاد، وللمفارقة تحدثنا على موعد للقاء اليوم بنفس المشاعر ونفس المرح والشغف إلى الاقتراب، ببسمة خجلة لذيذة وكأن رحيله لسنتين كاملتين لم يشكل رسوبا على حبنا، بل قد كان سببا في عودته لامعا براقا من جديد.
أنزلت نظري للأسفل بعد أن سمعت هاتفي يرن وابتسمت سعيدة قبل أن أنزل.

وصلت لمكان لقاءنا أمام البحر القريب من منزلي. تسارعت دقات قلبي لحضوره وأنا أقف تفصلنا مسافة بسيطة، لا يزال كما هو قوي البنية ونفس طريق ملبسه وإن غابت الأناقة عليه، استدار وكأنه أحس بقدومي فأبعدت عيني عنه من الارتباك.
اقترب مني ببطء حتى وصل أمامي بطوله الفارع فابتلعت ريقي وأنزلت رأسي. خفض رأسه قليلا على جانبه وهو ينظر إلي، رفعت عيناي إليه يا إلهي كم بدا بائسا!! لحيته الكثة وشعره الغير مسرح بدا أطول. لكنه لم يفقد شيئا من وسامته. كانت عيناه الميتتان تلمعان، قرب أصابع يده من شعري، لمس بها طرفه قائلا بخفوت أجش:

– قَصَصْتِه

أومأت له. أعلم جيدا مدى عشقه لشعري الطويل الأسود، لذلك هو الآن تحت أذني تماما.
أنزل نظره ليدي اليسرى وأمسكها، فبدا لي لمعان خاتمه تحت ضوء القمر.
ضممت شفتي بإدراك قبل أن أخرج علبة من جيبي ورقة مخملية يلفها ورق بلاستيكي شفاف وبسطته أمامه فلمع شيء

– لازلت تحتفظين به؟!
– لم أخلعه يوما بعد غيابك

أخذ الورقة المخملية وكأنه يستعيد ذكراها.

– هذه أيضا
– تعلم مدى حبي لجمع هذه الأشياء

كانت تلك هي الشيء الذي جمعنا، وضعها فوق مكتبه فظننت أنه سيرمي بها لفتت انتباهي تركيبتها الرائعة! فآثرت أن آخذها. بعد أن قدمت إليه مقالة الجريدة التي كتبتها قمت بالتقاطها أمامه، وللصدمة سألني لما سآخذها! وهنا بدأت علاقتنا تتوطد بعد أن أثار فضوله كيف أنني أجمع الأشياء الغير مفيدة لأجعلها قصاصات رائعة، ربما هذا هو الشيء الذي جعلني أتعلق بكل ما يدخل حياتي.

– ابتسم وأخذ الخاتم وأمسك يدي
– سنعيد الكرة

ابتسمت له وعينانا تقطع وعدا غير منطوق بأن هذه المرة لن تفشل أبدا.
استدرنا بعدها نتأمل جمال القمر المكتمل.

أحاط بي كل ما أريد أن يكون، واستعادت الأشياء من حولي قيمتها، أغمضت عيني ونسيم معتدل يداعب بشرتي كقبلة من الحياة المرحبة بي.

* * * * * * * * * * * * * * *

تـمـت بـــإ ذ ن الله